

الرسالة التربوية للمدرسة المغربية بين التأصيل والتحديث

د. محمد مربي

(الكلية المتعددة التخصصات بالناظور-جامعة محمد الأول)

خلاصة البحث وفكرته المركزية:

- يروم الباحث تسليط الضوء على الرسالة التربوية للمدرسة المغربية، ويفترض وجود رسالتين: يسمي إحداهما رسالة التأصيل، وثانيتهما رسالة التحديث.

- يتناول الرسالتين في علاقتهما بمؤثرين أساسيين، أسهما معا في إنتاجهما: النظام التربوي، المتعلق بالخيارات والتدابير التي كانت الدولة تضعها لتدبير قطاع التربية والتكوين. والفضاء التربوي، المتمثل في المجال الذي تتشكل فيه التصورات التربوية خارج النطاق الرسمي.

- من هنا فإن البحث سيُقدم من خلال ثلاثة أقسام: يقدم الباحث في القسم الأول المفاهيم الأساسية التي سيشغل فيها. ويعرض في القسم الثاني رسالة التأصيل، وفي القسم الثالث رسالة التحديث. أما القسم الرابع فهو بعنوان: تركيب واستشراف. وهو تكتيف للمعطيات السابقة، واستشراف لمجموعة من الاختيارات التي من شأنها حفز الرسالة التربوية في المدرسة المغربية.

القسم الأول: تحديد المفاهيم الأساسية في البحث

للمرسالة معان لغوية تتراوح بين: الشيء اللطيف، أو الطفيف، والخطاب المرسل إلى فرد أو جماعة، وكتاب مشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد⁽¹⁾.

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد تنوعت معاني الرسالة بحسب الحقول والاتجاهات المعرفية المختلفة. لذلك سنعتمد هنا على معنى ذي علاقة بالمجال الذي نشغل فيه: يُستعمل مصطلح الرسالة في أدبيات التنمية البشرية بمعنى المهمة أو الدور الذي يريد أن يقوم به الإنسان في حياته. نقول مثلا: رسالتي في الحياة أن أعلم الناس الخير. فهذه المهمة لا تنتهي، هذا الإنسان يعلم الناس حياته كلها. إن الرسالة هنا بمعنى النتيجة

النهائية التي يسعى إلى الوصول إليها. يقابل المنظرون في هذا الإطار بين «الرسالة» و«الرؤية»: الرؤية كلمة عامة للأهداف؛ ذلك أن الأهداف تنقسم إلى بعيدة، ومتوسطة، وقصيرة المدى. لذلك فالرؤية خطة قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى. أما الرسالة فهي غير محددة بهدف. فحين يقول القائل: «رسالتي أن أعلم الناس» فهذا أمر لا ينتهي، فهو يعلم الناس حياته كلها. هذا الاتجاه ليس له حسبة، أو غاية، يمكن الوصول إليها. أما الرؤية فهي مقصد محدد؛ كان تقول مثلا: «رؤيتي أن أكون مديرا». هذه الرؤية محددة؛ فبعد أن تكون مديرا تكون قد أنهيت مهمتك. إنها نتيجة يمكن قياسها، وحسبتها.⁽²⁾

للمرسالة طابع تخصصي مرتبط بالمجال الخاص الذي يشتغل فيه الإنسان: لذلك فقد تكون اجتماعية، أو سياسية، أو مهنية، أو أسرية... إلخ. أما المجال التخصصي الذي نحن بصدده هنا فهو المجال التربوي: الرسالة التربوية.

لفظ «تربية» من الأصل اللغوي «ربى»؛ فيقال «ربي في بني فلان ربوا- وربوا بمعنى نشأ فيهم». وكذلك «ربي الشيء ربوا- وربوا: نما وزاد». و«ربي على الخمسين ونحوها: نما وزاد». و«ربي فلان أي غداه ونشأه ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية»⁽³⁾.

إن التربية سيرة تهدف إلى تحقيق النمو والاكتمال التدريجيين لوظيفة من الوظائف، عن طريق الممارسة. وتنتج هذه السيرة، إما عن الفعل الممارس من طرف الآخر-وهذا هو المعنى الأصلي والأكثر عمومية- وإما عن الفعل الذي يمارسه الشخص على ذاته. وتفيد التربية، بمعنى أكثر تحديدا، سلسلة من العمليات يدرب خلالها الراشدون- سواء أكانوا آباء وأمهات، أم مدرسون- الصغار، من نفس نوعهم، ويسهلون لديهم نمو بعض الاتجاهات والعوائد⁽⁴⁾. تتحقق العملية التربوية من خلال مؤسسات اجتماعية عدة من أهمها: مؤسسة المدرسة، ومؤسسة الأسرة. يهتما هنا دور المؤسسة الأولى.

تحاول نقل تراث الماضي إلى الجيل الحاضر؛ وذلك من خلال عملية التصفية والانتقاء. ولكن، هذه الرسالة تعتمد أيضا على نظام تربوي منفتح على التجديد المستمر؛ بمعنى أنها لا تنغلق في الماضي ولا تتوقع داخله، كما أنها لا ترفضه بصورة كلية. وهذا ما يؤكد دور كرايم Durkheim بقوله (بالتصرف):

«يتكون كل نظام تعليمي، من عنصرين: هناك من جهة مجموعة من القوالب المحددة والثابتة؛ في شكل أنظمة قائمة، إذ هناك أنظمة بيداغوجية كما أن هناك أنظمة قانونية ودينية وسياسية. لكن، في الوقت نفسه، داخل هذه القوالب التي تفسر على هذا النحو، هناك أفكار جديدة تشغلها وترغمها على التغيير. لذلك تتمثل الابتكارات الأكثر خصوبة في تدفق الأفكار الجديدة في القوالب العتيقة. فباستثناء الحالات النادرة، التي يكون فيها النظام التعليمي ثابتا ومحددا، هناك دائما نزعة نحو مثل أعلى واضح بهذه الدرجة أوتلك. داخل النظام التعليمي الذي يبدو ثابتا ومحددا هناك دائما حياة وحركة، قد تكون خفية، لكنها قطعاً ليست تافهة: داخل الماضي الذي يمتد، هناك دائما الجديد الذي يتخلق. إن المستقبل لا يمكن أن يتم تناوله من عدم، إننا لا نستطيع أن نبنيه إلا بواسطة أدوات تركها لنا الماضي»⁽¹⁵⁾.

لا تخلو الرسالة التربوية للمدرسة المغربية من هاتين الرسالتين معا، بمقادير ونسب مختلفة. لذلك نجد أن المقررات الدراسية تتمثل إنتاج السلف والخلف معا: هناك سعي إلى استلهام التراث، من جهة. وهناك انفتاح على الحضارة الإنسانية بشكل عام⁽¹⁶⁾.

سنتناول الرسالة التربوية للمدرسة المغربية هنا من خلال المنظور الذي طرحه هؤلاء المفكرون، لكن مع الحرص على ملاءمته مع الاصطلاحات المتداولة في ثقافتنا الوطنية والقومية: سنتناول رسالة المدرسة المغربية من خلال وظيفتين: وظيفة التأصيل، ووظيفة التحديث.

تركز رسالة التأصيل على مقومات الهوية والخصوصية الحضارية. لقد تشكلت هذه الرسالة -في البداية- جوابا على الاستفزازات الاستعمارية التي كانت تهدف إلى تزييب الشخصية الوطنية وطمس ملامحها. لذلك فقد كانت تتحرك بموجب ميكانيزمات الدفاع، والتدليل على عناصر القوة في الشخصية الوطنية والقومية.

أما رسالة التحديث فقد ظهرت في السياق الثقافي العام الذي أصبح يسلم بالقدرة التفسيرية والتحليلية للنظريات التربوية الغربية. إنه سياق هيمنة أسلوب «الاستعارة» و«النقل» التربويين.

من الصعب الوقوف عند تاريخ معين نعتبره نهاية رسالة

إن الرسالة التربوية تحيل على الحالة المعنوية والفكرية، بما تحمله من قيم ومثل عليا وتصورات ونماذج فكرية. إن الرسالة التربوية هنا قريبة إلى كثير من المفاهيم التي وردت في الفكر الفلسفي الغربي؛ مفاهيم مثل: مفهوم «الابستيم»⁽⁵⁾، ومفهوم «المناخ السيكلوجي»⁽⁶⁾، و«المفهوم التاريخي والفلسفي»⁽⁷⁾، و«مفهوم الرؤية للعالم»⁽⁸⁾، و«مفهوم الهابيتوس»⁽⁹⁾. من المؤكد أن بين هذه الاصطلاحات فروق اصطلاحية كثيرة، لكن بينها تشارك دلالي يتجلى في الإحالة على الجانب المعنوي للإنسان، وخطاطاته في إدراك الأشياء وتقويمها.

تتشكل الرسالة التربوية للمدرسة من مصادر عديدة ومتنوعة، تدرج ضمن ما يسميه أحد الباحثين «الأطر المرجعية»⁽¹⁰⁾ Les références de cadres سنحاول إضفاء النظام عليها لإدراجها ضمن إطارين أساسيين: النظام التربوي، والفضاء التربوي.

- يتمثل النظام التربوي في التدابير المختلفة التي تعتمدها الدولة لتدبير قطاع التربية والتكوين. لا شك في أن لهذا النظام تأثير كبير في الرسالة التربوية للمدرسة. تشغل المدرسة من خلال قوانين وقواعد رسمية؛ بكل ما تحمله هذه التعليمات من فلسفة تربوية معينة، يتم ترجمتها إلى أهداف ومقاصد محددة، وطرق بيداغوجية، ومقررات وكتب مدرسية، وأساليب للتقويم، ووسائل تعليمية.

- أما الفضاء التربوي فهو المجال العام الذي تتفاعل معه المدرسة؛ وذلك بالمفهوم العام للفضاء باعتباره المجال الذي يتشكل فيه الرأي العام، خارج سلطة الدولة. وذلك من خلال تداول قضايا الاهتمام العام دون الخضوع للإكراه⁽¹¹⁾. ما هي الآن طبيعة هذه الرسالة التربوية، التي تحدثنا عن العناصر التي تؤطرها؟

لقد تحدث بعض المنظرين عن الرسالة التربوية للمؤسسة المدرسية، في علاقتها بوظيفة التطبيع الاجتماعي، وهو الموضوع الذي تناوله «بيير بورديو» (Bourdieu. P) في عدة كتب، من أهمها «الورثة»⁽¹²⁾ و«إعادة الإنتاج»⁽¹³⁾ (بالاشتراك مع كلود باسيرون Passeron Claude). لقد تناول «بورديو» النظام التعليمي والتربوي الفرنسي، الذي يعمل على تطبيع الفرد، وعلى إعادة إنتاج الأوضاع الاجتماعية نفسها. أيضا تطرق بورديو إلى الموضوع في مقال مهم بعنوان: «نظم التعليم ونظم التفكير»⁽¹⁴⁾؛ وقد بين من خلال المقال المذكور تأثير طرق وأنماط التعليم في المدرسة الفرنسية في مناهج التفكير عند الفرنسيين.

كما تحدث آخرون عن رسالة الحفاظية والمحافظة: Conservatoire conservatrice. معنى ذلك أن المدرسة

للمستعمر تهدف إلى إحكام سيطرتها على المغرب. وقد حاولت ذلك من خلال إحداث مديرية التعليم l'enseignement de Direction، كانت تابعة للمقيم الفرنسي العام بالمغرب. وهي مديرية كانت تتكون من خمسة مصالح: التعليم التقني-التعليم الابتدائي-الأوروبي والإسرائيلي-التعليم الإسلامي-الموظفين-الحسابات. كانت لهذه المديرية مسؤولية الإشراف على جميع المؤسسات الابتدائية والثانوية والعليا.

وقد حاولت السلطات الاستعمارية تحقيق أهدافها من خلال استراتيجية قائمة على مجموعة من الإجراءات، منها:

- التنوع في أنماط التعليم بين التقليدي والعصري، وبين التكوين الصناعي في المدن، والتكوين الفلاحي في البوادي.
 - تطبيق مقتضيات الظهير البربري، من خلال تشجيع التعليم البربري.
 - الإبقاء على النخبة الأرستقراطية عن طريق تخصيص تعليم لأبناء الأعيان.
- ونتيجة لهذه السياسة كان التعليم في المغرب ذا طابعين متميزين:

- تعليم استعماري طبقي.
- تعليم غير متجانس⁽¹⁷⁾.

كان هذا النظام التعليمي يعتمد اللغة الفرنسية في تدريس المواد المختلفة، بالإضافة إلى تكوين مهني لتوفير اليد العاملة في المدن، وتكوين فلاحي لأبناء القرى والبوادي؛ وذلك بهدف استغلال البلاد، والسيطرة على مواردها الاقتصادية والبشرية. أما اللغة العربية والعلوم الدينية فكانت حصصهما محدودة؛ بل عمل المستعمر على طمس تدريجي لمعالم الثقافة الوطنية، وتعويضها بالفكر الأجنبي الدخيل. تجلّى ذلك على الخصوص في الإعلان عن «الظهير البربري»؛ الذي استهدف «عروبة المغرب ووحدته الوطنية فكان رد الفعل الوطني هو التمسك بهذه المقومات الثلاثة، والدفاع عنها بوصفها مقومات لا يمكن الفصل بينها»⁽¹⁸⁾.

وفي الوقت الذي كان فيه الوطنيون يخوضون مختلف أشكال المقاومة المسلحة كان المدرس في المدارس والزوايا، والكتاتيب يباشر رسالته التربوية المتمثلة في إفشال سياسة المستعمر، الهادفة إلى مسخ الهوية الثقافية الوطنية. لهذا «كان لا يخالط مدارس المستعمر في الغالب إلا أبناء الأثرياء والمنخرطين في إدارة الحماية»⁽¹⁹⁾. كما صدرت فتاوى تدعو إلى مقاطعة التعليم الاستعماري، مثال ذلك ما صدر ضمن كتاب

وبداية أخرى لاعتبار أساس هو كون التاريخ لا يعرف القطاع؛ ذلك أن المسار التربوي المغربي لم يكن خطياً، يلغي فيه اللاحق السابق. لكن هذا لا يمنع -مع ذلك- من وجود رسالة مهيمنة على الأخرى في حقبة معينة.

القسم الثاني: رسالة التأصيل

أولاً، النظام التربوي:

لقد هيمنت في فترة الاستعمار وغداة الاستقلال انشغالات تتمحور أساساً حول البحث عن الأصول والخصوصيات الحضارية. لقد كانت هذه الرسالة التربوية جواباً عن الاستفزات الاستعمارية، التي كانت تهدف إلى تزويد الشخصية الوطنية وطمس ملامحها. لذلك فقد كان المدرس يتحرك بموجب ميكانيزمات الدفاع عن الهوية، والتدليل على عناصر القوة في الشخصية الوطنية والقومية. سنقدم من خلال ما يلي تشكلاً وسيرواً هذه الرسالة التربوية:

- 1- عرف المغرب قبل الحماية نظاماً تعليمياً أصيلاً يضم مجموعة من المؤسسات تتمثل في ما يلي:
- الكتاتيب القرآنية.
- جامعة القرويين بفاس.
- جامعة ابن يوسف بمراكش.
- الزوايا في أغلب البوادي والحوضر المغربية.

كان البرنامج التعليمي قائماً على حفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءة والكتابة، ابتداءً من سن الرابعة. ثم التدرج في اكتساب العلوم المختلفة؛ خاصة العلوم الشرعية واللغوية. وكان التعلم لا ينتهي عند سن محددة، بل قد يضطر المتعلم إلى الهجرة نحو الشرق العربي، قصد الدراسة بمؤسسات علمية كجامع الزيتونة وجامع الأزهر. ذلك أن العلوم تنمى بالتثقيف المستمر، ولو حصل صاحبها على إجازات متعددة من شيوخه. وكانت الطرائق التعليمية تعتمد أساساً على الذاكرة؛ من خلال حفظ المتون (الأجرومية، والألفية، ومنظومة ابن عاشر). وكانت مدينة فاس في ذلك الوقت هي العاصمة العلمية بدون منازع.

بالإضافة إلى هذا التعليم ظهر نظام تعليمي يهودي، شكل النواة الأولى للتعليم الأوروبي بالمغرب منذ سنة 1827، سيفتح هذا التعليم على أبناء الجالية الأوروبية بشكل عام. وفي سنة 1847 أحدثت مدارس يهودية أخرى في بعض المدن المغربية. وقد شكلت هذه المدارس الإرهاصات الأولى للتغلغل الاستعماري في المغرب.

- 2- أما في فترة الحماية، فكانت السياسة التعليمية

بالهوية اللغوية، والهوية الدينية:

1-3- الهوية اللغوية:

يقول محمد الفاسي: «عندما استولت سلطة الحماية على مقاليد الحكم في بلادنا كان كل ما أحدث المغرب من ألفه إلى يائه على النمط الفرنسي، وباللغة الفرنسية، وبالأصناف الفرنسية، وبالطابع الإسباني (...) بالقسم الشمالي من الوطن المغربي»⁽²⁸⁾. لذلك ستقوم الدولة المغربية بمجموعة من المبادرات التي كان من شأنها إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية. كانت هذه المبادرات في صلب الرسالة التربوية التأصيلية للمدرسة المغربية في ذلك الوقت. نذكر من هذه المبادرات ما يلي:

- تبنت لجنة الملكية لإصلاح التعليم منذ 1946 مبدأ التعريب، لكن التنفيذ لم يقرر إلا عند استرجاع الهياكل الوطنية التعليمية»⁽²⁹⁾.

- حددت «اللجنة الملكية لإصلاح التعليم» -سنة 1957- المبادئ التالية للتخلص من الإرث الاستعماري: التعريب في مقابل التعليم الاستعماري الذي كان مفرسا. والتعميم في مقابل التعليم الاستعماري الذي كان نخبويا. والتوحيد في مقابل التعليم الاستعماري الذي كان غير متجانس. والمغربة للحد من كثرة الأطر الفرنسية في الإدارة»⁽³⁰⁾.

- وقد دعا الملك الراحل محمد الخامس (رحمه الله) إلى عقد مؤتمر عربي سمي «المؤتمر الأول للتعريب» سنة 1961، وذلك للنظر في سياسة تعريبية للمغرب خاصة، والعرب بشكل عام. وقد نتج عن المؤتمر وضع خطة للتعريب في المغرب وتونس، وكذا تأسيس المكتب الدائم للترجمة والتعريب في الرباط، وقد تم إلحاقه بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، التابعة لجامعة الوحدة العربية.

- كما اتخذ المجلس الأعلى لوزارة التربية الوطنية سنة 1962 قرارا يقضي بتعريب جميع مواد التدريس، وتم الاتفاق على تطبيق القرار بالتدريج»⁽³¹⁾.

- في أواخر العقد التاسع من القرن العشرين، كانت مختلف المواد التي كانت تقدم باللغة الفرنسية قد عُرِبت (التاريخ والجغرافيا، والفلسفة، العلوم الطبيعية، الرياضيات، الفيزياء، الكيمياء). وكان ذلك بصورة متدرجة في مختلف الأسلاك التعليمية (الابتدائي-الإعدادي-الثانوي).

أما في التعليم العالي فقد تم تعريب مجموعة من المواد سنة 1988، تتمثل أساسا في: التاريخ والجغرافيا والفلسفة والقانون. في حين بقيت المواد العلمية تدرس باللغة الفرنسية إلى يومنا هذا: الطب، العلوم الطبيعية، الرياضيات، الفيزياء، الكيمياء.

«إرشاد الحيارى في منع أبناء المسلمين من الدخول إلى مدارس النصارى»⁽²⁰⁾.

لقد كانت «السلفية» هي الإطار المرجعي الذي يؤطر المدرس المغربي، خاصة أن الوجود السلفي عميق الجذور في تاريخ المغرب، يعود إلى القرن الثامن عشر⁽²¹⁾. سيتأكد هذا الحضور في بداية القرن العشرين من خلال الإسهامات التربوية والتعليمية لعدد من شيوخ السلفية في المغرب: نشير إلى الجهود التربوية لشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، ومواقفه في إذكاء روح الحماس لدى قادة الحركة الوطنية⁽²²⁾. كما نشير إلى أبي شعيب الدكالي، الذي تصدر للتدريس ونشر الدعوة السلفية في المراكز الحضرية بعد عودته من المشرق⁽²³⁾.

لقد كانت الرسالة التربوية السلفية يومذاك تتجاوز الإطار العقدي الضيق الذي لازمها في البداية، لتتحول إلى حركة اجتماعية سياسية هادفة إلى الإصلاح التربوي والديني، واضعة في اعتبارها المتغيرات الحاصلة في بداية القرن، ومتطلبات الحاضر. لذلك يقول عنها علال الفاسي:

«ومهما يكن مقدار التطور الذي حصل في نظرنا للأشياء، ومهما يكن مقدار النجاح الذي سنحصل عليه في تطبيق برامجنا بعد الاستقلال، فالذي لا شك فيه هو أن السلفية عملت عملها على تسيير ألتنا النفسية وتوجيه تفكيرنا نحو هذا التجدد المنشود في جميع مظاهر حياتنا، ونحو هذا التحرر الذي ظل طابع حركتنا، وصوب هذه الوحدة العربية التي لم تزل مطمخ آمالنا، ونحو الروح الديمقراطية التي تسيطر علينا»⁽²⁴⁾.

وهذا ما أدى إلى انصهار «الوطنية» في «السلفية»؛ لقد وجد المدرسون والمربون أنفسهم ضمن حركة سلفية ووطنية في الوقت نفسه: «هي سلفية لأنها تريد إقرار الشرع الإسلامي وتثبيت دعائمه في البلاد، وهي وطنية لأنها تقاوم السيطرة الأجنبية وكل برامجها لامتلاك الأبدى لبلادنا»⁽²⁵⁾.

3- أما في فترة بداية الاستقلال، فقد ركز الاستعمار الفرنسي على اجتثاث المقومات الأساسية التي يقوم عليها المغاربة؛ وهذا ما عبر عنه المستشرق الفرنسي جودفروي ديموبين⁽²⁶⁾ Gaudefroy-Demombynes.R بقوله:

«يجب أن تُسَخَّر كل الوسائل التي تحت سلطاننا لمقاومة زحف العربية والإسلام»⁽²⁷⁾.

وقد توجهت جهود المستعمر الفرنسي إلى هذين الجانبين؛ باعتبارهما أساسيين في هدم أسس الهوية المغربية. عمدت الدولة المغربية -من جهتها- إلى إعادة الاعتبار إلى العاملين المذكورين؛ وذلك بالنظر طابعهما الاستراتيجي في العملية الإصلاحية؛ يتعلق الأمر هنا

جريدة العلم (1945)، رسالة المغرب (1947). كما تطور الأداء الصحفي التربوي من خلال إصدار الملاحق التربوية لبعض الجرائد الوطنية: (العلم التربوي)، (الملحق التربوي لجريدة المحرر: 1974).

أما على مستوى المجالات فنذكر منها: رسالة الأدب (1958)، أفاق (1963)، أقلام (1964).

لقد تشكلت هذه الرسالة التربوية -في البداية- في إطار مرحلة بناء الذات، وكان هم هذا الجيل هو العمل على وضع قاعدة لإحياء وانطلاق المدرسة المغربية؛ من خلال البحث عن حركية جديدة، تعيد التواصل بين المربي وماضيه من جهة، وبين حاضره من جهة أخرى. من البدهي أن قاعدة الانطلاق لا تبنى على فراغ، ولا تتم من خلال الانتظام في تراث الآخرين، بل تتم من خلال الانتظام في التراث الخاص. وقد أشار الدكتور محمد عابد الجابري إلى هذه الظاهرة، في سياق تحديد «ميكانزمات» النهضة بقوله :

«يمكن للمرء أن يلاحظ بسهولة أن جميع النهضة التي نعرف تفاصيل عنها قد عبرت إيديولوجيا، عن بداية انطلاقها بالدعوة إلى الانتظام في تراث، وبالضبط بالعودة إلى الأصول، ولكن ليس بوصفها كانت أساس نهضة مضت يجب بعثها كما كانت، بل من أجل الارتكاز عليها في نقد الحاضر ونقد الماضي القريب، الملحق به، المنتج له المسؤول عنه والقفز إلى المستقبل»⁽³⁶⁾.

إن الماضي هنا هو مصدر القيم، وهو الذي يحدد هوية الممارسة التربوية في الحاضر. لذلك فإن فكرة «الهوية» هنا تأخذ جذورها في امتداد الماضي في الحاضر. بل اعتبار الماضي مجموعة من النماذج المشرقة التي تشكل الإرث التربوي والثقافي. من هنا تتحدد قيمة العملية التربوية من خلال مدى تحكمه في تلك النماذج. وهذا ما يفسر هيمنة ذلك التصور الثنائي للتربية، الذي يقوم على مفاهيم من قبيل: «الأصيل والدخيل»، و«القديم والجديد»... إلخ. لكن، الملاحظ عموما أن المواقف المقدمة في هذا الشأن كانت تنحو منحنى تأكيد مشروعية «الأصيل»، وكانت القيمة الاعتبارية للخطاب التربوي غالبا ما تتحدد بمقدار علاقة النص اللاحق بالسابق، أي بما يسميه أحد الباحثين المغاربة «النموذج الأصلي»⁽³⁷⁾. فعل التأصيل هذا له جذور في الثقافة العربية القديمة والحديثة؛ «فمرحلة التدوين» في القرن الثاني الهجري تشكل مرحلة وضع النماذج والأصول في كافة الحقول المعرفية المختلفة⁽³⁸⁾. وبعد ذلك، خلال اللحظة الإحيائية في سنوات العشرين من القرن الماضي، وقع ما يعرف أحيانا بعصر «التدوين الثاني»، من خلال العمل على إعادة صياغة النسق القيمي والتربوي الأول، في ظل

2-3- أما على مستوى الهوية الدينية فقد يطول بنا الحديث في تتبعها من خلال البرامج والمقررات والمناهج، لكنني أكتفي هنا بالحديث عنها من خلال الوثائق التربوية المرجعية الأساسية: الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والكتاب الأبيض، والحياة المدرسية؛ يقدم الميثاق الوطني للتربية والتكوين ما يسميه المرتكزات الثابتة والغايات الكبرى في عشرة مواد، يستهلها بهذا المبدأ العام «يهتدي نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المنتم بالاعتدال والتسامح»⁽³²⁾.

أما كتاب الحياة المدرسية، فقد تطرق إلى ما سماه «الثوابت العامة»، وفي طيلعتها «مبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية إلى تكوين الفرد تكوينا يتصف بالاستقامة والصلاح»⁽³³⁾.

في حين ركز الكتاب الأبيض -في حديثه عن الاختيارات الأساسية- على «قيم العقيدة الإسلامية» (...) وترسيخ الهوية المغربية الحضارية والوعي بتنوع وتفاعل وتكامل روافدها⁽³⁴⁾.

ثانيا، الفضاء التربوي :

لقد خلقت ظروف الاستعمار وبداية الاستقلال منظورا تطغى عليه الحماسة الداعية إلى مقاومة المستعمر. وكان المدرس -باعتباره من النخبة المثقفة- يتحرك بموجب ميكانزمات الدفاع، والتدليل على عناصر القوة في الشخصية الوطنية. وكان للإعلام المشرقي دور مهم في ترسيخ هذه العلاقة، وذلك من خلال الجرائد التي كانت تصل إلى المغرب. وكان أغلبها يعنى بالقضايا التربوية. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الهلال، الرسالة، المنار والمقتطف... إلخ.

لقد كانت تبعية المدرسة المغربية للمشرق - إلى حدود سنوات الستين- شبه مطلقة؛ ذلك أن الانبهار بكل ما هو قادم من المشرق لم يترك مجالا لمصادر أخرى للاستلham التربوي. وإذا كان المدرس المغربي قد عمل - في فترة لاحقة - على تنويع مصادره الثقافية، من خلال التواصل المباشر مع الغرب، فإن النزوع العربي القومي ظل ثابتا في وجدانه. لذلك فإن أغلبهم يقول - على حد تعبير «بول شاول» : «ما ينفع المغربي إذا ربح أوروبا والعالم كله... وخسر جذوره المشرقية»⁽³⁵⁾.

وبالموازاة مع جهود الدولة في إضفاء طابع التأصيل على البرامج والمقررات الدراسية، ستظهر - فيما بعد - في بعض الصحف والمجلات الوطنية، التي كانت تجعل من التربية مادة أساسية في رسائلها الإخبارية والإعلامية؛ على المستوى الصحفي نذكر بجريدة المغرب (1932)،

الشروط الجديدة والمختلفة.

القسم الثالث: رسالة التحديث

أولاً، النظام التربوي:

يمكن الحديث عن بدايات تحديث النظام التربوي المغرب في فترة الحماية؛ حيث واجه المغاربة التعليم الاستعماري بحذر شديد، خاصة غداة صدور الظهير البربري سنة 1930. لذلك فقد تمثل رد فعل الحركة الوطنية في إقامة «مدارس حرة»⁽³⁹⁾، اتخذت صبغة عصرية، لكنها متحررة من هيمنة الإدارة الفرنسية. هذا التماهي بين الخطاب السياسي والخطاب التربوي كان من متطلبات تلك المرحلة. لتأكيد ذلك، يمكن تقديم المثال التالي: ألفت جمعية «طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا» على نخبة من رجال التربية والثقافة في بلدان المغرب العربي سؤالاً يتعلق بنوعية التخصص الذي تحتاج إليه البلاد، فكان تأكيد هذه النخبة المثقفة أهمية التخصص التربوي باعتباره المجال الأولى بالاهتمام من غيره من فنون المعرفة⁽⁴⁰⁾.

سيشكل هذا الإطار التاريخي والثقافي الشروط القبلية التي أطرت مجموعة من الإنجازات والبرامج الصادرة عن الوزارات الوصية عن التعليم غداة الاستقلال:

نعرض هنا بعض الإنجازات والبرامج التي قدمتها الدولة قصد تحديث النظام التربوي المغربي:

- القيام بحملة وطنية كبرى لمحاربة الأمية، وتوسيع قاعدة التعليم في البوادي والمدن، من خلال بناء المدارس والإعداديات والثانويات، وتوفير الموارد البشرية الكافية؛ من خلال توظيف المعلمين والعرفاء بصفة مباشرة، مع تنظيم تكوين أساس ومستم من أجل تأهيلهم، وأيضاً من خلال تكوين أعداد كبيرة من المعلمين والأساتذة في مؤسسات التكوين، التي شرع في بنائها بشكل تدريجي.

- انطلاق الجامعة المغربية سنة (1957)، وقد كان لها دور كبير في تفعيل المشهد التربوي والعلمي؛ إذ في رحابها تخرجت أجيال من المدرسين الذين أسسوا لبنات البحث التربوي في المغرب. والملاحظ هنا أن أغلب الأساتذة الذين كانوا يدرسون في الجامعة، اشتغلوا -في البداية- في القطاع المدرسي. نذكر من هؤلاء: محمد حجي، عبد الهادي التازي، محمد بن شريفة، الحسن السائح، محمد السريغيني، محمد مفتاح... وآخرون.

كما انخرطت الدولة المغربية ابتداء من العقد التاسع من القرن العشرين في جملة من الإصلاحات، افترض بأنه سيكون لها تأثير كبير في ما يتعلق بالرسالة التربوية

للمدرس:

أولاً، مرحلة إصلاح التعليم الأساسي في م1985. حيث أعلنت الحكومة المغربية عن إصلاح جذري للنظام التربوي، يشمل قطاعات التربية والتعليم، والتكوين المهني، وذلك قصد تزويد المواطن المغربي بتكوين يجعل منه إطاراً قادراً على المساهمة المباشرة والفعالة في تنمية البلاد، والتمتع بثمار تلك التنمية. وقد وُضعت لهذا الإصلاح غايات تتمثل في ما يلي:

أ- إقرار تعميم تعليم أساسي إجباري مدته تسع سنوات، يضمن للتلميذ اكتساب معارف فكرية ومؤهلات يدوية تسعفه في الاتجاه إلى التعليم الثانوي العام، أو التعليم التقني، أو التكوين المهني.

- الإبقاء على تعليم ثانوي، يتوج بشهادة البكالوريا، وذلك بعد دراسة مدتها ثلاث سنوات.

- الاهتمام بالتعليم التقني والتكوين المهني بإقامة جسور بينهما وبين التعليم العام، عند نهاية كل سلك.

ثانياً، مرحلة الميثاق الوطني للتربية والتكوين 1999. وقد أعدته اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم، التي كونها جلالة الملك الحسن الثاني (رحمه الله). وقد ضمت اللجنة ممثلين عن الحكومة والأحزاب الوطنية والشخصيات المهمة بميدان التعليم. وقد شكل الميثاق حدثاً مهماً في تاريخ التربية والتكوين بالمغرب، بالإضافة إلى احتوائه على تجارب مجموعة من الأنظمة التربوية العالمية؛ لذلك شهد الجميع بقيمته التربوية وشموليته؛ بمرتكزات وغاياته، ومجالاته الستة، ودعاماته التسع عشرة. وحدد لإصلاحاته مواعيد.

لكن تقرير «الهيئة الوطنية لتقويم منظومة التربية والتكوين»، التابعة للمجلس الأعلى للتعليم عام 2008، سي طرح أكثر من سؤال حول قابلية الميثاق للتطبيق؛ لقد قدم هذا التقرير تشخيصاً دقيقاً وجريئاً لواقع التربية والتكوين بالمغرب، واقترح سبلاً لمعالجة اختلالاتها. وسيشكل هذا التشخيص المدخل لإصلاح آخر يتمثل في البرنامج الاستعجالي: 2009-2012، الذي نتج عن الملاحظات التي قدمها التقرير السابق. وهو بمثابة مخطط إصلاحي، يمتد لثلاث سنوات.

ما هي جوانب التحديث في البرامج المشار إليها سابقاً؛ في ما له علاقة بوظائف المدرسة المغربية؟

أولاً- تضمن إصلاح نظام التعليم الأساسي ((م1985، اختيارات عدة سيكون لها تأثير كبير في الرسالة التربوية للمدرس، نقدمها بالطريقة التالية:

- اعتماد بيداغوجية «الأهداف التربوية». لعل الميزة الأساسية لهذه البيداغوجيا، التي جعلت المسؤولين

المسطرية والتقنية والشكلية والمعرفية التي ينبغي أن تتوفر في الكتاب. وهناك لجان التقويم والمصادقة، التي تتولى تقويم الأعمال المعروضة عليها، إما بالقبول، أو بالرفض، أو بالتعديل. وذلك خلافا لما كان سائدا من قبل: الكتاب الواحد المجهول الكاتب. وابتداء من الموسم الدراسي 2002/2003 رفعت وزارة التربية الوطنية يدها عن احتكار إنتاج الكتب المدرسية؛ وأتاحت بذلك للمدرسين -بصفة خاصة- الفرصة من أجل إنتاج كتب مدرسية، اعتمادا على دفاتر تحملات تتضمن المواصفات والمعايير البيداغوجية والتقنية والجمالية المطلوبة.

- اعتماد «نظام المجزوءات»؛ فقد أشار الميثاق إلى «وضع برامج تعتمد نظام الوحدات المجزوءة، انطلاقا من التعليم الثانوي، لتنوع الاختيارات المتاحة وتمكين كل متعلم من ترصيد المجزوءات التي اكتسبها»⁽⁴⁷⁾.

وقد بدأ المغرب في تنفيذ نظام الوحدات والمصوغات في السلك الثانوي التأهيلي، فوضع البرامج والمناهج الدراسية وفعل بيداغوجيا المجزوءات مع الموسم الدراسي 2003/2004 بتغيير الكتب المدرسية، وتجديد هيكلتها وطرائق عرضها. وقد أصبحت المقررات الدراسية توزع في شكل وحدات ديداكتيكية وبيداغوجية فصلية أو دورية، وبطريقة متكاملة ومنمجة.

ثانيا، الفضاء التربوي:

ما كان للمدرس المغربي أن يتماهى مع رسالة التحديث في إطار النظام التربوي العام الذي تشرف عليه الدولة، لولا وجود فضاء تربوي خارجي عام يستشرف التحديث. لقد بدأت تتبلور -في هذا الإطار- تصورات جديدة، كانت تنتقد ما أصاب البرامج والمقررات والمناهج من عتاقة وقدم، وتدعو إلى تجديد في المستويات التربوية المختلفة. وكانت هذه التصورات تؤثر على التحول الكبير الذي بدأ يتبلور حول مفهوم الرسالة التربوية للمدرسة المغربية.

وقد كان لعامل المناقفة مع الغرب عموما، والفضاء الفرنسي خصوصا، دور كبير في هذا التحديث المذكور. يمكن القول إن انتقال النظريات والمفاهيم التربوية الغربية إلى المغرب قد تحقق بواسطة ثلاث طرق:

- عرض الكتب والمقالات والنظريات التربوية.
- ترجمة النصوص والكتب تربوية.
- التنظير التربوي.

وقد ارتبطت عملية تحديث الرسالة التربوية للمدرس -في إطار ما سميناه الفضاء التربوي- بمشاريع ذات علاقة بفعاليات تربوية. إذ ستظهر بالموازاة مع التوجهات التربوية الرسمية المذكورة سابقا، كتابات تنظيرية من

عن الشأن التربوي يقترحونها كأداة في العدة التربوية للمدرسة المغربية هو طابعها الإجرائي؛ فهي عبارة عن سلوكيات ذات قابلية لأن تكتسب من طرف التلاميذ بعد عملية التحصيل⁽⁴¹⁾. هذا على الرغم من الانتقادات الشديدة التي تعرضت لها في الغرب⁽⁴²⁾، بل في المغرب في مراحل لاحقة أيضا.

- تحسين نوعية التعليم، بإعادة تكوين مختلف أطر التدريس والتأطير والإدارة. وقد تم إعادة تنظيم بعض المعاهد التي كانت موجودة من قبل، وإنشاء معاهد جديدة: مدارس المعلمين- المراكز التربوية الجهوية- المدارس العليا للأساتذة- مركز التوجيه والتخطيط- سلك تحضير التبريز- مركز تكوين المفتشين.

- مراجعة المناهج والبرامج، وقد شمل ذلك مختلف الأسلاك والأقطاب والشعب. وقد شكلت المراجعة موضوع مناقشات واستشارات وطنية. وكانت التعديلات متدرجة من المستويات الأولى إلى الإشرافية.

من المؤكد أنه كانت لهذه الاختيارات تأثيرات مباشرة في رسالة المدرسة المغربية، ستأكد هذه التأثيرات مع الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

ثانيا، كرس الميثاق بعض الاختيارات البيداغوجية التي كانت قد دخلت إلى النظام التربوي في أوقات سابقة. من بينها الاشتغال بمفهوم «المناهج Curriculum»؛ بدل مفهوم «البرنامج Programme». يشكل المنهج التربوي دستور العمل التربوي: إن المنهج التربوي هو الذي يضيء على الرسالة التربوية للمدرس طابع التخطيط المنظم⁽⁴³⁾. إن الاشتغال بالمنهج يفترض وجود فلسفة تربوية معينة، يتم ترجمتها إلى أهداف ومقاصد محددة. كما يستدعي اختيار الطرق البيداغوجية، والمقررات الدراسية، والكتب المدرسية، وأساليب التقويم، والوسائل التعليمية. إن المنهج التربوي هو الذي يؤثر المكونات التي تتضمنها السيرة اليداكتيكية⁽⁴⁴⁾.

- اعتماد «مفهوم الكفايات»؛ وذلك من منطلق حرص الميثاق على إكساب المتعلمين الكفايات الملائمة لجعلهم مواطنين مؤهلين للمساهمة في تنمية المجتمع، في المستويات المختلفة. تنفذ الكفايات بواسطة وضعيات ديداكتيكية مناسبة لكل فضاء تربوي، داخل القسم وخارجه. ويكون الهدف هو تعديل السلوكيات والاتجاهات والمواقف، والتعبير عن الذات واتخاذ الموقف الخاص في الزمان والمكان⁽⁴⁵⁾.

- «تحرير الكتاب المدرسي»؛ مما سيؤدي إلى إفساح المجال لتنويعه على المستويين الوطني والجهوي، بل حتى على مستوى المؤسسة الواحدة⁽⁴⁶⁾. هناك دفتري تحملات تحدده الوزارة الوصية، يتضمن المواصفات

أسبوعية في الصحف الوطنية اليومية. بل ظهرت في أواسط سنة 2008 «الجريدة التربوية» التي تعنى بشؤون التربية والتكوين والمجتمع، وتصدر بشراكة مع التضامن الجامعي المغربي.

سيظهر في العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين فاعل تربوي آخر سيكون له دور كبير في شحذ الرسالة التربوية للمدرس. يتعلق الأمر بالإعلام التربوي الإلكتروني. نشير هنا إلى أهم المنتديات التربوية: منتديات الأساتذ- منتديات مدرستي- المنتدى التربوي- منتديات الأساتذ التعليمية-مجلة التربية والتعليم- الجريدة التربوية الإلكترونية-منتديات دفاتر...إلخ.

القسم الثالث: تركيب واستشراف:

تتأكد من خلال ما سبق الفرضيات التي وضعناها في بداية هذا البحث: تراوحت الرسالة التربوية للمدرسة المغربية بين وظيفتين أساسيتين: أولاهما تاصيلية، وأخرهما تحديثية. لقد ركزت رسالة التأصيل على مقومات الهوية والخصوصية الحضارية؛ وعلى عناصر القوة في الشخصية الوطنية والقومية. أما رسالة التحديث فقد ظهرت في السياق الثقافي العام الذي أصبح يسلم بالقدرات التفسيرية والتحليلية للنظريات التربوية الغربية. تناولنا الرسالتين في علاقتهما بمؤثرين أساسيين أسهما معا في إنتاج كل منهما: النظام التربوي، المرتبط باختيارات الدولة في تدبير قطاع التربية والتكوين. والفضاء التربوي، المرتبط بالمجال العام الذي تتشكل فيه التصورات التربوية خارج النطاق الرسمي.

يبقى من المهم في الأخير استشراف المستقبل التربوي، لاقتراح مجموعة من الاختيارات التي من شأنها حفز رسالة المدرسة المغربية؛ على المستوى التربوي العام، وعلى المستوى البيداغوجي، وعلى المستوى الديدكتيكي.

مبعلا يوجرتلا يوتسملا -1 يتعلق الأمر هنا بالوثائق التربوية المرجعية الأساسية، التي من المفترض أن تقدم نموذج الإنسان المغربي الذي تريد السياسة التربوية- التعليمية أن تخلقه. أشير تحديدا إلى الوثائق التالية: الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ودليل الحياة المدرسية، والكتاب الأبيض. تقدم هذه الوثائق ما يمكن أن نسميه دستور النظام التربوي. نتحدث هذه الوثائق عن التربية المدرسية، بمعنى التعليم، أونقل المعرفة. لكنها لا تتحدث عن نمط التنشئة الاجتماعية، وعن القيم الأساسية للمجتمع المغربي. إن الحديث عن هذا

إنتاج فعاليات تربوية وطنية، خارج المؤسسات الرسمية. قدم كل واحد من هذه المشاريع في شكل سلسلة، نذكر منها هذه النماذج على سبيل المثال، لا الحصر:

سلسلة الدليل التربوي، والتجديد التربوي لمحمد الدريج، سلسلة عالم التربية لعبد الكريم غريب، سلسلة علوم التربية للأستاذ عبد اللطيف الفارابي وآخرون، سلسلة المعارف البيداغوجية للأستاذ الحسن اللحية، سلسلة التكوين التربوي لخالد المير وآخرون...إلخ.

كما يمكن الإشارة هنا إلى الدور الذي قامت به بعض المجالات في التعريف بالنظريات التربوية الحديثة. والملاحظ هنا هو كثرة هذه المجالات من جهة، وكونها لم تعمر طويلا من جهة أخرى. يمكن تصنيف هذه المجالات كالآتي: - مجالات تربوية عامة: مجلة ديداكتيكا- مجلة سيكولوجية التربية- مجلة علوم التربية- مجلة علامات تربوية- مجلة الحياة المدرسية- مجلة عالم التربية- مجلة التربية والتكوين- قضايا تربوية- مجلة الدراسات النفسية والتربوية- مجلة التربية والتعليم. مجلة عالم التربية.

- مجالات مرتبطة بمؤسسات حكومية: الرسالة التربوية (وزارة التربية الوطنية)- نشرة «الاتصال» (لجنة تنفيذ اتفاقية الشراكة بين وزارة التربية الوطنية، والوزارة المكلفة بحقوق الإنسان)- مجلتي المدرسة المغربية ودفاتر التربية والتكوين (المجلس الأعلى للتعليم).

- مجالات مرتبطة بمؤسسات تربوية إقليمية: آفاق تربوية (نيابة ابن مسيك)- الواحة التربوية (نيابة الراشدية)- مجلة «فضاءات تربوية» (نيابة الرباط)- مجلة «أشكال» (نيابة القنيطرة).

- مجالات مرتبطة بمؤسسات تربوية جهوية: الحوار التربوي (أكاديمية سطات)

- مجالات تربوية قطاعية: المجلة التربوية (جمعية مفتشي التعليم الثانوي)- صدى التضامن (التضامن الجامعي) الثانوية (خاصة بالتعليم الثانوي).

- مجالات تربوية محلية: مجلة «البوابة» (جمعية الأعمال الاجتماعية، فرع تازة)- مجلة «النداء التربوي» (وجدة)

- مجالات متخصصة مرتبطة بالامتحانات الإشهادية: نذكر منها -على الخصوص- مجلة الجامعة، وهي أسبوعية ثقافية تربوية كانت موجهة أساسا إلى الطلبة المرشحين لاجتياز البكالوريا. صدر العدد الأول منها في أواسط 1982. وتوقفت في العدد السادس عشر.

- مجالات علمية محكمة: مجلة قضايا تربوية

هناك عامل آخر له أثره في هيمنة رسالة التحديث يتمثل في التطور النسبي للصحافة التربوية؛ في شكل ملاحق

الذي ميز التعامل التربوي المغربي مع هذه الطرق البيداغوجية؛ مما جعله معنيا في أحسن الأحوال بتقبل هذه الطرائق، واستهلاكها دون العمل على المشاركة في إنائها. لذلك فمن القضايا التي من شأنها شحذ رسالة المدرسة المغربية للرفي بالممارسة التربوية الانتقال من مستوى «التمثل» و«التوظيف» و«الاستهلاك» إلى مستوى الاستعارة المفاهيمية القائمة على الإبداع والإضافة والتأصيل النظري. إن المجال التربوي يحتاج إلى نوع من «التأصيل المعرفي»، و«الملاءمة الثقافية»؛ لأن الأمم تتقدم -من حيث المبدأ- من خلال الجهود المبذولة في إطار الانخراط في تطوير تجربتها التربوية والثقافية الخاصة، وأيضا من خلال العمل على الانفتاح -في الوقت نفسه- على المصادر الثقافية الأجنبية.

3- المستوى الديدانتيكي: التطبيق الفعلي لما يسمى «مشروع جيني»، بكل ما يستلزمه ذلك من خطوات فعلية خاصة على مستوى إعادة صياغة المضامين التربوية بطريقة رقمية. وننبه هنا إلى أمر هام جدا: إن رقمنة الظاهرة التربوية لا تعني فقط -كما هو الشائع الآن- الاستفادة من الخدمات المتنوعة التي تقدمها الوسائط الإلكترونية، اعتمادا على برامجها المختلفة⁽⁴⁸⁾. إن رقمنة العملية التعليمية تقتضي اعتماد ما يسمى النص المترابط hypertexte؛ القائم أساسا على برمجة دروس تتسم بالتفاعلية والترابطية واللاخطية. ويتحقق ذلك من خلال الحاسوب، بعلاماته وتقنياته المختلفة، في ارتباطه بالفضاء الشبكي، وعلى التمثيلات السيميائية المرتبطة بالخط، والصوت، وللصورة.

النموذج في المرجعيات المذكورة يطغى عليه أسلوب الموازنات: الموازنة بين الإسلام والحداثة، الموازنة بين الأمازيغية واللغة العربية، الموازنة بين اللغة الأم واللغات الأجنبية... إلخ. إن أسلوب الموازنة قد يحقق نوعا من التوافق لكنه لا يكون مؤسسا على قواعد علمية ومنطقية.

2- المستوى البيداغوجي: عرف المغرب تطبيق مجموعة من الطرق البيداغوجية. كانت البداية مع بيداغوجية الأهداف التربوية منذ إصلاحات 1985، ثم بيداغوجية الكفايات، وضمناها البيداغوجيا الفارقية مع إصلاح 1996 ثم أخيرا بيداغوجيا الإدماج مع المخطط الاستعجالي سنة 2009. أشير في البداية إلى الإطار المرجعي لهذه المصطلحات، فهي كلها مقتبسة من عالم الاقتصاد، مثلها مثل اصطلاحات أخرى استوردها القاموس التربوي المغربي مثل: الجودة- الإنتاجية- الامتياز... إلخ. وهي اصطلاحات مرتبطة بالسياق العام للتجربة الأوروبية في سعيها لدراسة الظواهر الاجتماعية من خلال تشخصها المادي؛ والاستعداد لإضفاء الطابع التجريبي والحسي على مختلف الظواهر المادية والمعنوية.

إلا أن هذا الانفتاح على المصادر التربوية الأجنبية أفسح المجال لصعوبات متعددة تطبع عملية انتقال الثقافة التربوية من واقع حضاري يحقق تراكما كبيرا على مستوى الإنتاج الثقافي والتربوي إلى واقع آخر يكتفي -في أحسن الأحوال- بتقبل هذه المفاهيم واستهلاكها، دون القدرة على المشاركة في إنائها وتطويرها. لذلك نلفت النظر إلى طابع «الاستهلاك والنقل التربوي»

الهوامش

- 1 - أنظر لسان العرب لابن منظور، دار صادر، لبنان، 2003، ج: 15، ص: 153
- 2 - د. صلاح الراشد، كيف تخطط لحياتك، منشورات مركز الراشد، الكويت 2004، ص: 14
- 3 - د. إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مجمع اللغة العربية، القاهرة: ط2، 1972، ص: 350
- 4 - عبد اللطيف الفارابي، وآخرون، معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، سلسلة علوم التربية، منشورات عويدات، بيروت، 1994، ص: 90 وما بعدها.
- 5 - ميشيل فوكو، حريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1986
- 6 - توماس مونرو، التطور في الفنون، ترجمة: محمد علي أبو درة، لويس إسكندر جرجس، عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971.
- 7 - جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة: د. جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص: 26.
- 8 - L.Goldmann ، Marxisme et sciences humaines، Gallimard. Paris
- 9 - P. Bourdieu ، Question de sociologie، Minuit، Paris.
- 1980
- A.Clausse, Pédagogie rationaliste, P U F , Paris, p - 10 : 178
- 11 - يمكن الرجوع في هذا الإطار إلى: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، إفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1998
- P. Bourdieu. Les héritiers, les étudiants et la cultures - 12 Minuit, Paris, 1964
- P. Bourdieu, et j. C. Passeron, la reproduction, - 13 élément pour une théorie du système d'enseignement, Minuit, Paris, 1970
- Pierre Bourdieu, Systèmes d'enseignement et - 14 systèmes de pensée, revue internationale des sciences sociales, N : 3, 1967, p : 376
- Durkheim, Education et sociologie, Alcan, Paris, - 15 1922, p : 100
- 16 - للمزيد من التفاصيل حول الموضوع يمكن الرجوع إلى: خالد المير وآخرون، وظائف المدرسة، ضمن سلسلة التكوين التربوي، عدد: 44، ص: 1995، 3

- 34 - الكتاب الأبيض، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي ربيع الأول 1423 يونيو 2002، ص: 12-13
- 35 - بول شاوول، علامات من الثقافة المغربية الحديثة، بيروت . ط 1 : 1979، ص : 6
- 36 - د. محمد عابد الجابري، إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر : صراع طبقي أم مشكل ثقافي، ضمن مؤلف : التراث وتحديات العصر (الأصالة والمعاصرة)، بيروت، ط 1 : 1985
- 37 - د. محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994. ص : 101
- 38 - أنظر تفاصيل ذلك في فصل «عصر التدوين: الإطار المرجعي للفكر العربي» من كتاب الدكتور محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ط : 4 . 1991 ص : 56 وما بعدها
- 39 - أنظر لائحة المدارس الحرة المعترف بها إلى السنة الأولى من الاستقلال، في كتاب إبراهيم السلامي، الشعر الوطني المغربي في عصر الحماية (1912-1956)، دار الثقافة (دون سنة النشر) ص : 43-46
- 40 - أحمد زياد، لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب، ص: 77
- 41 - للمزيد من التفاصيل حول مميزات بيداغوجية الأهداف يمكن الرجوع إلى:
- Richard Girard, Les objectifs pédagogiques, Royaume – du Maroc, Ministère de l'éducation National, 1995
- R.F.Mager, Comment définir des objectifs pédagogiques, – Traduit par G.Décote, Bordas, Paris, 1990, pp: 19
- L. Vandevelde, P. Vander Elst. Peut-on préciser – 42 les objectifs en éducation, Fernand Nathan Ed Labor, Paris, 1981
- 43 - يمكن الرجوع هنا إلى: ملف: ملازمة المناج والبرامج من أجل مدرسة الجودة، مجلة دفاثر التربية والتكوين، المجلس الأعلى للتعليم، الرباط، عدد: 8-9
- 44 - De Corte, Les fondements de l'action didactique, A . - 44 De Boeck, éd S.A. Bruxelles, 1979
- Louis Arénilla et les autres, Dictionnaire de pédagogie, – 45 Bordas, Paris, 1996, pp: 55
- 46 - مذكرة رقم 81 بتاريخ 15/07/2004 الكتب المدرسية المقررة للموسم الدراسي 04/05.
- 47 - أنظر الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص: 72
- 48 - أقصد بذلك البرامج التالية:
- برنامج الجداول الإلكترونية EXCEL،
 - برنامج العروض والشرائح الإلكترونية Power point
 - برنامج قواعد البيانات Access
 - برنامج النسخ المصورة «ب د ف PDF».
 - برنامج «معالجة النصوص WORD».

- 17 - يمكن الرجوع في هذا الإطار إلى : د. محمد عابد الجابري، أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، دار النشر المغربية، البيضاء (ب،ت)
- 18 - د. محمد عابد الجابري، يقظة الوعي العربي في المغرب، مساهمة في نقد السوسيولوجيا، المستقبل العربي، بيروت، عدد: 87، 1986، ص: 17
- 19 - عبد الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر في العدوتين، مطبعة الأمنية، الرباط، ج : 1، 1971، ص : 48
- 20 - هو كتاب للشيخ النبهاني، نقلا عن : الحسن الشاهدي، التاريخ الأدبي بالمغرب في العصر الحديث، مجلة دعوة الحق، العدد : 5، سنة : 1981
- 21 - أنظر تفاصيل ذلك في : أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق : محمد الناصري وجعفر الناصري، دار الكتب، البيضاء 1955، ج : 8 ص : 86 وما بعدها. وكذا : عبد الرحمان بن زيدان، الدرر الفاخرة، الرباط 1937، ص : 67 وما بعدها.
- 22 - أنظر : عبد القادر الصحراوي، شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، دار النشر المغربية، البيضاء (دون سنة النشر).
- 23 - أنظر : عبد الله الجراري، المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ضمن سلسلة شخصيات مغربية، العدد : 1، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء 1976.
- 24 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، القاهرة 1948، ص : 137
- 25 - علال الفاسي، حديث المغرب في المشرق، المطبعة العالمية، القاهرة، 1956، ص : 11-12
- 26 - وهو أحد المؤثرين لاستعمار المغرب العربي (1862 - 1957م)
- 27 - د. عبد العالي الودغيري، الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب، كتاب العلم، السلسلة الجديدة رقم: 7، الرباط، ط 1، 1993
- 28 - التعريب ووسائل تحقيقه، محمد الفاسي، مجلة الأصالة، عدد خاص، السنة الرابعة، العدد 17، 18، نوفمبر، ديسمبر 1973، ص: 110
- 29 - د. محمد المنجي الطيادي التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1980، ص : 152، ص: 153
- 30 - البرامج والمناهج، من الهدف إلى النسق (مؤلف جماعي)، مطبعة فضالة، ط : 1، 1990، ص : 31
- 31 - عاكشة بن المصطفى، تأثير اللغة الفرنسية في المستوى القيمي والاجتماعي والتعليمي في المغرب، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد: 402، ص: 135
- 32 - اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الرباط، يناير، 2000، ص: 5-6
- 33 - دليل الحياة المدرسية، مديرية التقويم وتنظيم الحياة المدرسية والتكوينات المشتركة بين الأكاديميات، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، غشت 2008، ص: 9